

القسم الثالث

في طريق الاتحاد الجبرى

١ — إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه ضد الاستعمار الانجلو سكسونى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية الاتحاد السوفيتى فى الشمال ، والاتحاد الفرنسى فى المغرب ، والاتحاد الهند وكى فى الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية ^(١) يصبغها بصبغة التحرر ^(٢) ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة هذه الأمم وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى ، ولو كان الأمر قاصرا على المناطق التى يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

٢ — ولكن الباحث المدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطارا شاسعة ، ويحاول أن يضم أمما إسلامية ،

Progrèsiste (1)
D' Emancipation (2)

لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضا عليها ، ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية ، حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية ^(١) تعسفية ^(٢) لا تمنح للمسلمين حريتهم وحقهم فى تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديدا براقا لا يغتربه إلا الواهمون . فالإتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها ، وهم أكثر من عشرين مليونا ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، دون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد . والاتحاد السوفيتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الآسيويين لا يسمع لهم صوت ، ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى . والاتحاد الهندى يحارب كيان دولة الباكستان الإسلامية ويحاول القضاء عليها وابتادة الاقليات الإسلامية أو أضعافها .

٣- ولا يمكن للعرب فى إفريقيا والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض ، لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم ولذلك فهم لا يسلمون للأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على

Rétrograde (1)

Arbitraire (2)

هذا الكوكب الأرضي ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو في قوته وبروزه وأثره لا يمكن أن يقارن به تاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها في الحضارة . وقد ألقى علينا هذا الماضى درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه ، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب في أسبانيا ، وجزائر صقلية ، وسردينيا ، وكريت ، ومالطه كانوا عرباً دخلوا هذا البلاد واستوطنوها ، ثم زالت أيامهم ، فأدبحوا بالسيف في جنسيات وأديان أخرى ، ولا تزال دماء العروبة في عروقهم إلى اليوم وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة في القرم ، ورومانيا ، والبلقان ، فأين هم اليوم ؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد .^(١)

٤ — ولهذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام ، والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية في مراکش وتونس والجزائر وأضعافها كقوة فعالة في تاريخ العالم ، ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها ، وأن يشعر بالأخطار التي تهددنا من هذه الناحية ، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس في عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نفنى

(١) كتب هذا قبل نكبة فلسطين التي لا تعادلها غير نكبة الأندلس

بهذه السهولة من الأرض فتذهب ريجنا لدى الصدمة الأولى .
هـ — وقد عرضنا في القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسي ،
ولمسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس
فرنسا كدولة حاكمة وقلنا : إن هذه الأمور جهر بها كتاب
الغرب ، وسلم بها الفرنسيون أنفسهم ، أو فريق منهم ، وكنا نقدم
للقارئ ما يحول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم ، وبعد
أن ظهر للعيان تتمصيرهم وكنا نرمي بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام
القارئ ، حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور
ووعيد ، وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربي أن محاربة الاستعمار
تستلزم الوقوف على أساليبه والألمام بطرقه ، وأن الدول الغاصبة
مهما كانت سياستها غاشمة ومع ما بين أيديها من وسائل القمع تحاول
أن تفرغ هذه السياسة في قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين
نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم ، وأن
يروضوا أنفسهم على الحقائق ، وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق
مارسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

٦ — والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقررده لأنفسنا ، بل لا تسلم به
وإنما لديها المنظمات التي توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهي لا تنوى
أن تنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط في حق من حقوقها

إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها . وهذه الشعوب فى تقدمها نحو الوعى القومى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق حتى لاتذهب جهودها وضحاياها هباء^(١) ، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص ، وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها ، فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها ، والوقوف موقف الحريص على حقوق هذه الشعوب بل موقف المتيقظ للدفاع عنها أمام الصمير العالمى .

٧ — وقف فى القرن الماضى بعض الكتاب الانجليز ، يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئوليته إزاء الشعوب المحكومة ، فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلاً هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب أوربا على دولة آل عثمان اسم رجل أوربا المريض ، فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات ان تتبدل احوال السكون ، وان تصبح الأوضاع مقلوبة ، فاذا الامبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلاً فى الحكومات الانجلوسكسونية وبريطانيا وأمريكا حماية امبراطورية مريضة فى

حالة النزاع والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها ؟

٨ - إن الاسلحة والمعدات الحربية التي تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها في قتال الألمان ، وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت الى صدور الشعوب المظلومة في مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العناد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة في المغرب فما الثمن الذي قبضه الرجل الأبيض ؟ أهو تحطيم السور الفولاذي حول المستعمرات امام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها اسواقا تجارية له ؟ وما الذي كسبت فرنسا الأمم الحنون أ كسبت المجد الدائم للسيطرة وأن تمر العمليات والصفقات بطريق باريس ، بدلا من أن تتجه رأسا الى أراضي المستعمرات وهل في سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى في شمال إفريقيا محتفظا لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية اليها اما لتحريرها أو للمساعدة في تهدتها . هذا ما سنكشفه لنا الايام في المستقبل القريب .

٩ - في الوقت الذي كان رجال فيشي يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا ، محافظة على وحدة املاكهم الافريقية كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيرا استعماريًا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمرا لهم في مدينة برازافيل بافريقيه ، جمع عددا

من أحكام المستعمرات تبادلوا الرأي فيما بينهم ، واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل ، بعد أن استعرضوا مسائل هامة :

منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ، ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الفكرية والاجتماعية ، وعرضوا المسائل التعليم ، وأثر الدين ، وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى ، والإدارة المباشرة ، وغير المباشرة . واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الأمبراطورية ، والسير بها فى طريق الإتحاد الفرنسى .

١٠ — وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر ، وأدجوها فى مشروع الدستور الجديد . فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وأبحاثه وأهدافه ومراميه .

ان فرنسا تعرف جيداً ان مستقبل الاستعمار والقارة الافريقية مما يشغل بال منظمة هيئة الأمم المتحدة الامم وتؤمن أن الاستعمارية لا تكافح عن املاكها بالكتائب والمال والسلاح فقط بل بالعقل والمنطق والعلم اننا يجب ان ننظر الى مؤتمر برازافيل على انه محاولة فرنسية لابقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها كاملة غير منتهية مقدمة .